• ندوة التربية :

مع الدكتور عوض خليفات
عمان ـ الجامعة الاردنية

مصادر المؤرخ الصادق

أعدها : صلاح خليفة
خبير اذاعى ـ اذاعة قطر

• من المعروف أن الدكتور عوض خليفات متخصص فى الجامعة بالتاريخ والحضارة الاسلامية واختصاصة العميق هو العصر الاموى ، فهل نبدأ بالتاريخ الاسلامى من بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ـ التاريخ الاسلامى كما هو مفهوم للمؤرخين يحدد بظهور البعثة النبوية الكريمة ويستمر الى وقتنا الحاضر ولكن المؤرخين اصطلحوا على تقسيم التاريخ الى عصور لتسهيل الدراسة سموها العصور القديمة والوسطى والحديثة ومعظم التاريخ الاسلامى يدخل فى العصور الوسطى •

• فترة الجاهلية • هل يؤرخ لها ضمن التاريخ الاسلامى ؟

جاهليتان قبل الاسلام !

ـ الجاهلية من المشاكل التى يواجهها المؤرخون العرب وهناك اختلاف كبير حول تحديد هذا المفهوم فمنهم من يقول أن الجاهلية تمتد قرنا ونصف او قرنين قبل الاسلام ولكن هذه الجاهلية هى ـ فى اعتقادى ـ الجاهلية العربية الشمالية ولا تشمل كل تاريخ العرب ، والجاهلية العربية جاهليتان ؟ الجاهلية الاولى موغلة فى القدم تمتد الى عصور سحيقة فى التاريخ ولا نعرف عنها الا القليل ، والجاهلية الاخرى هى القريبة العهد بالاسلام وهى التى تتكلم عنها المصادر العربية الاسلامية •

• من أين جاء لفظ الجاهلى ؟!

ـ الجاهلية أيضا لفظ مختلف فيه فمنهم من يقول ان الجهل هو ضد العلم ، وآخرون يقولون ان الجاهلية هى الفترة التى عاشها العرب بدون دين سماوى وهناك من يقول أنها تعنى ضد الحلم والتعقل والرزانة ••• الخ ، ولكنها فى المفهوم التاريخى تعنى الفترة التى سادت قبل ظهور الاسلام •

• جاهلية العرب قبل الاسلام ، هل من ملامح لهذه الفترة تميزها ؟!

ـ الجاهلية قبل الاسلام كما ذكرت هى جاهليتان واريد ان اصحح بعض ماهو معروف بان الجاهلية العربية كلها ظلام وتخلف وفقر ، فقد عرف العرب قبل الاسلام حضارات مجيدة خالدة فى اليمن مثل الحضارة المعينية والسبئية وحضارة حضرموت ، ووصل تاثيرهم الى أجزاء كبيرة من العالم حتى يقال ان الحضارة اليونانية فى بعض مظاهرها تاثرت بالحضارات العربية الجنوبية • وقد وصف مؤرخو اليونان والجغرافيون هذه الحضارات العربية وصفا جيدا واثنوا عليها ووصفوها بانها كانت حضارات زاهرة الا ان اهل هذه الحضارات كفروا بانعم الله فاستحقوا الاندثار عبرة للبشرية، بالاضافة الى ذلك فقد ساد فيها واد البنات وشرب الخمر وغير ذلك من العادات السيئة •

• ماذا عن الدين فى هذه الفترة قبل الاسلام فى الجزيرة العربية ؟!

الدين فى الجزيرة العربية قبل الاسلام كان وثنيا متنوعا ، وكما قلت مرة أخرى هناك خلاف بين الشمال والجنوب ، فى شمال الجزيرة العربية والممالك التى قامت على اطرافها مثل الحيرة والغساسنة والانباط وكنده فمعظم الديانات المعروفة كانت عبادة الاوثان والكواكب وما الى ذلك من قوى خفية كانوا يتقربون اليها ، أضف الى ذلك فى الفترة القريبة من ظهور الاسلام سادت بعض الديانات التوحيدية مثل اليهودية والنصرانية والتى حرفها أهلها خاصة فى المناطق المحاذية للبلدان التى انتشرت فيها هاتان الديانتان • وأيضا هناك بعض التاثيرات من الديانات الوثنية الفارسية مثل الديانة الزردشتية والمزدكية وغير ذلك •

مصادر المؤرخين !!

• ماهى المصادر التى اعتمد عليها المؤرخون فى كتابة تاريخ هذه الفترة ؟؟

ـ يمكن تقسيم هذه المصادر الى اربعة اقسام :

المصدر الاول والاهم : هو النقوش الاثرية والمخلفات الاثرية التى اكتشفت خاصة فى جنوب الجزيرة العربية باليمن ، واقول انها مهمة لانها معاصرة للاحداث ، ولكن المشكلة فى هذه النقوش ان قسما كبيرا منها قبل قيام الدولة الحميرية ، وكاتبوا التاريخ لدى العرب لم يكونوا يؤرخون ؟ بل يؤرخون بحادثة معينة او بحكم ملك من الملوك وما دمنا لا نعرف تاريخ تلك الحادثة او الفترة التى حكم بها ذلك الملك فتصبح عديمة الفائدة من الناحية السياسية ، ولكن يمكن ان نستفيد منها من النواحى الاقتصادية والاجتماعية •

فمثلا : النقوش تتكلم عن عقود زواج ، هذه نستفيد منها من الناحية الاجتماعية فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وجدت نقوش ايضا تتكلم عن بناء سد أو حفر قنوات مائية أو انشاء مشاريع زراعية ، هذه نستفيد منها فى النواحى الاقتصادية ، ولكن من الناحية السياسية مادام التاريخ فيها غير موجود فهى عديمة الفائدة ، ولكن بعد قيام الدولة الحميرية تقريبا عام ١١٥ نستطيع ان نعرف التاريخ الصحيح •

القسم الثانى : كتاب التوراة والتعاليم العبرانية ، كالتوراة كتبت فى عهود مختلفة ولم تكتب فى وقت واحد ولكن تسودها بعض الاساطير ولا يمكن الاعتماد عليها وحدها ، ومن افضل المصادر الموجودة لدينا عن علاقة الانباط باليهود قبل الاسلام مثل كتاب المؤرخ يوسفيس ويعتبر من افضل المؤرخين .

القسم الثالث : المصادر الكلاسيكية واعنى بها المصادر اليونانية واللاتينية وقد تعرضت قبل قليل الى ان بعض الكتاب اليونانيين زاروا المنطقة وكتبوا عنها وخاصة عن النواحى الاقتصادية والتجارية .

المصدر الرابع : هى المصادر العربية الاسلامية التى كتبت فى العهد الاسلامى ، وهى فى الواقع متاخرة ولا نستطيع الاعتماد عليها كليا الا اذا قارناها بمصادر اخرى موثوقة مثل النقوش وغير ذلك ولكن يوجد بعض الكتاب وبعض الروائيين مثل كتابات الهمدانى عن اليمن لانه كان يقرأ الخط المسند وكان يقرأ النقوش .

• مهمة المؤرخ لهذه الفترة .. هل هى التوفيق بين هذه المصادر أم ماذا ؟؟

ـ المؤرخ فى هذه الفترة اذا لم يحاول ان يجمع كل ما هو متعلق بالفترة من كل هذه المصادر ثم يقارنها ويحللها ويستنتج منها فمن الصعب أن يصل الى الحقيقة ، ولكن عليه ان يجمع المواد أولا ثم يقارنها ويحللها ويستنتجها ويستخدم كل المصادر الموجودة لديه .

ظهور الاسلام

• ندخل الآن الى ظهور الاسلام ؟ ماذا غير الاسلام فى هذه النظم ؟؟

ـ الاسلام كان ولا زال حدثا كبيرا فى تاريخ العرب والانسانية جمعاء ، فبالنسبة للعرب ـ وهذا ما يهمنا ـ أعتقد ان أهم حدث قام به الاسلام ، انه وحد العرب لاول مرة فى تاريخهم ، فلم يكن العرب قطر قبل ظهور الاسلام يكونون دولة واحدة على الاطلاق ، وعندما جاء الاسلام جعل منهم أمة واحدة وكونوا دولة واحدة ثم اتسعت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى حدود الصين والى بعد ١٥ ميل من باريس واقاموا حضارة زاهرة ومجيدة ، ولولا الاسلام وما قام به ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما استطعنا الآن معرفة بما يسمى الحضارة العربية الاسلامية ، أضف الى ذلك أن الاسلام قد الغى كثيرا من العادات السيئة ولم يلغ كل شىء ، لانه أبقى على كل شىء خير فاضل ، لم يلغ الكرم مثلا ؟ ثم ان فكرة الشورى كانت شبه موجودة عند العرب فى المشيخة وانتخاب الشيخ وأبقى عليها وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تحض على الشورى ، ثم الغى عادات سيئة منها ما تشير الى استعباد الانسان لاخيه الانسان والربا ، ووضع عقوبات رادعة لبعض العادات السيئة مثل السرقة والزنا ورمى المحصنات ... الخ . ومثل هذه الامور .

واذا أردنا أن نتحدث عن تاثيره فى تاريخ العرب فهو يحتاج الى مساحة اكبر ، ولكن هناك شىء آخر لم يكن لدى العرب قبل الاسلام ، وهى نظم جيدة تنظم حياتهم اليومية وعلاقات الفرد بالفرد الآخر والفرد بالمجتمع ، فجاء الاسلام وأوجد هذه النظم فكانت سببا فى ارتقاء نفسية الانسان العربى المسلم وبالتالى ابداعة الحضارة العربية المعروفة ، شىء آخر كان الاسلام ـ ولازال ـ فى اعتقادى ثورة روحية تجلت فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، عندما أراد من الانسان أن يسمو بروحه ، وعندما نظم للانسان فى حياته ومعاملاته للآخرين ، شريطة ان تكون هذه الحياة والمعاملة لاتتعارض مع المبادىء الاسلامية ولا تتعارض مع مصلحة المجتمع ككل ، اى انه نظمها تنظيما دقيقا وهذا لم يكن موجودا قبل الاسلام .

قواعد الدولة الاسلامية

• يقال أن الدولة الآموية كانت أول من أرسى قواعد الدولة الاسلامية .. هل هذا صحيح ؟؟

ـ بالرغم من اننى مختص بالدولة الاموية ورسالتى فى الدكتوراة كانت عنها فانا اعتقد خلاف هذا الشىء واقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أرسى دعائم الدولة الاسلامية ، ولكنه شىء طبيعى ان تتطور انظمة هذه الدولة واجهزتها فى مختلف العصور تبعا للحاجات والظروف التى تمر فيها الدولة الاسلامية العربية ، ومن اوجه تطورها انشاء بعض الدواوين التى لم تكن موجودة من قبل ، وبعض النظم التى يحتاجها المسلمون فى علاقاتهم مع بعضهم البعض وفى علاقاتهم مع المناطق الاخرى المجاورة . وكل ما حدث بعد ارساء الرسول صلى الله عليه وسلم لقواعد الدولة الاسلامية ، هو تطور طبيعى تبعا للحاجات التى كانت تمر بها الدولة .

• ماذا عن حضارة الدولة الاموية !

ـ الواقع ان كلمة حضارة لا نستطيع أن نقول .. الحضارة الاموية .. بل يمكن ان نقول الحضارة العربية الاسلامية ، أما فى الدولة الاموية فلقد امتدت اقل من قرن من الزمان وكان الخلفاء الامويون فى معظم الوقت مشغولين بالفتوحات وأيضا فى اخماد بعض الثورات الداخلية التى كانت تقوم ضدهم من حين لآخر ، ولكن هذا لا ينفى عدم قيامهم ببعض النظم الحضارية ، فقد انشاوا بعض الدواوين التى لم تكن موجودة من قبل مثل ديوان البريد ، ديوان الرسائل ، ديوان العطاء ، ثم شىء آخر ومهم وهو تعريب الادارة ، وقد قام بذلك عبد الملك بن مروان فقد عرب النقود والدواوين فى الشام كانت تكتب باللغة اليونانية ، وفى مصر باللغة اليونانية والقبطية ، وفى العراق وبلاد فارس بالفارسية ، فعربها وجعلها باللغة العربية ، وفى اعتقادى ان تعريب الادارة كان خطوة جبارة فى سبيل المحافظة على الدولة العربية الاسلامية وتراثها ، ثم تعريب النقود بالذات كان نوعا من الثورة والتحدى للبيزنطين الذين كانت عملتهم هى السائدة فى البلاد العربية الاسلامية ، فهو تعريب الاقتصاد فى الدولة العربية الاسلامية وهذه خطوة كان لها أثرها فى التاريخ .

• علاقة الدولة الاموية بجيرانها ، هل كانت فقط علاقات حرب وفتوحات ؟؟

ـ علاقات الدولة الاموية بجيرانها مثل الدولة البيزنطية التى كانت على حدود بلاد الشام ، والاتراك فى آسيا الوسطى ، وكان فى الشمال الارمن ثم الخزر وفى شمال افريقيا واسبانيا وغير ذلك ، أما هذه العلاقات طبعا لم تكن مقصورة على الحرب ، فقد كانت هناك علاقات سلمية ومعاملات تجارية بين الدولة الاسلامية وبين هذه الدول المجاورة وكذلك علاقات ثقافية ، فكان البيزنطيون بشكل خاص يبعثون بدل الجزية بعض الكتب وكان الخليفة يطلب الكتب ويامر بترجمتها .

ويحضرنى رأى للمؤرخين العرب بان الحضارة العربية الاسلامية قد بدأت فى العصر العباسى بالترجمة ، والواقع أن هذا غير صحيح فقد بدأت فى العصر الاموى ووصلت أوجها فى العصر العباسى ، فحركة الترجمة والتدوين موجودة فى العصر الاموى ، ومعاوية بن يزيد بن أبى سفيان قام بترجمة بعض الكتب واستدعى بعض المترجمين وكان بعضهم من الاقباط والسريان وترجموا بعض كتب الكيمياء ، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز وكانت له مكتبة ضخمة فيها كثير من المترجمين ، وكانت هناك أيضا علاقات عسكرية ولكنها دبلوماسية الشكل . فقد كان هناك مبعوثون بين الدول البيزنطية والدولة فى بلاد الشام ، وكان هناك سفراء بين الامويين والدولة التركية فى اواسط آسيا .